فى اتجاه الحل

أولا: معالم أساسية:

قبل طرح الاقتراحات المناسبة لحل الأزمة الناتجة عن ظاهرة التطرف الدينى، لابد من الاتفاق على بعض المعالم الأساسية:

١- أن مصر هى إحدى أهم الدول الإسلامية، وأن دستورها ينص على أن دين الدولة الرسمى هو الإسلام. وبالتالى فإن الحفاظ على مكانة الإسلام يعتبر من واجبات الدولة الأساسية. وهذا يعنى العمل على تأكيد عقيدته فى النفوس، واحترام شعائره وتسهيلها لأتباعه، وإشاعة أخلاقياته، وعدم التعارض المباشر مع تشريعاته المتفق عليها، وهذا لايتنافى -على الإطلاق- مع ما هو مطلوب من إشاعة مبدأ التسامح مع الإخوة الأقباط، واحترام طقوسهم الدينية، ومراعاة مشاعرهم الدينية، وهذه كلها من مبادئ الدين الإسلامى نفسه.

٢- أن الجماعات الدينية المتطرفة تعتبر -قبل وبعد كل اعتبار- جزءاً من شباب المجتمع، بالغوا فى التمسك بآرائهم، واقتنعوا بأهمية فرضها بالقوة على الآخرين. ومع ضرورة العمل على تصحيح هذه الآراء، وبيان الأسلوب الأمثل فى الدعوة، علينا ألا ننسى أبدا أنهم منبثقون من المجتمع، وينتمون إليه. وبالتالى لاينبغى أن يعاملوا على أنهم جزء يلزم بتره، بقدر ما هم عضو يحتاج إلى علاج.

٣- مع ضرورة تحقيق الأمن فى المجتمع، ومعاقبة الخارجين على قوانينه المستقره، ينبغى ألا نفقد قط الخيط أو الخيوط التى ترتبط بفكر الشباب فى هذا الجماعات: ماذا يعتقدون؟ وإلى أى المصادر يرجعون؟ وعلى أى منهج يعتمدون؟ وبأى أسلوب يقتنعون؟- وليس أفضل فى ذلك من استخدام مبدأ (المصارحة) معهم، واستبعاد أساليب الخداع والتحايل. فليس مثل الشباب من إذا اكتشف الخداع مرة، لم يثق بصاحبه طول العمر.

٤- إذا كنا قد فقدنا عدداً من الشباب المتطرف، الذى أغلق بالفعل عقله وقلبه عن الحوار، والاستماع إلى النصح، والعودة إلى الحق، فينبغى أن نوجه اهتمامنا إلى الأعداد الأخرى التى من الممكن أن تتبع نفس الخط، حتى نسرع بحمايتهم من الوقوع فيه، أو الانسياق فى تياره.

ثانياً: اقتراحات محددة:

١- لاينبغى النظر إلى ظاهرة التطرف الدينى، ومايُنتج عنها من مظاهر العنف والارهاب بمعزل عن المشكلات الأساسية التى يعانى منها المجتمع، كالتعليم، والإسكان، والبطالة، وتدنى مستوى الخدمات فى الأحياء الشعبية، وإنعدامها تماماً فى المناطق العشوائية. ولذلك ينبغى أن يكون الحل - أو الحلول - شاملا، والنظرة إلى الاصلاح واسعة المدى. إن إنشاء حديقة خضراء فى حى، وإزالة القمامة من موقع، وسرعة إصلاح التيار الكهربائى فى منطقة: كل هذه عوامل هامة إن لم تساعد على إزالة التطرف، فعلى الأقل: التخفيف منه.

٢- ضرورة طرح المفهوم الصحيح والمتكامل للإسلام، مع متابعة هذا المفهوم عبر العصور التاريخية المتعاقبة، وفى المجتمعات الإسلامية المختلفة، حتى يتضح مالحقه من انحراف وتغيير وإضافة وتأويل.

ولاينهض بذلك إلا علماء ومفكرون على مستوى عال من الوعى بالذات، وتفتح على ما يجرى فى العصر. وكلما كانوا على درجة عالية من النزاهة والإخلاص كان ذلك أدعى لكى تؤثر كلمتهم، وتزيد درجة إقناعهم.

٣- تدعيم النشاط السياسى الحزبى بالمفهوم الديمقراطى الصحيح، وخاصة فى مستويات الشباب، ابتداء من الحزب الوطنى (الغائب تماما عن معالجة ظاهرة التطرف)، ولفت نظر الأحزاب الأخرى إلى أن المعارضة ليست بذاءات وهجوما شخصيا، وتصيد نواقص، وإنما هى تقديم وجهات نظر مختلفة لحلول معينة، مصحوبة بأدلتها، وقابلة للتطبيق.

٤- توجيه جهاز الرياضة والشباب إلى أن يضم إلى جانب الرعاية الرياضية: رعاية ثقافية يمكنها أن تستوعب هذا الجانب المفتقد لدى الشباب.

٥- ضرورة اتجاه وزارة الثقافة إلى تقديم جرعات ثقافية كافية للنشئ وللشباب فى مستوياته المختلفة بالريف والمدن، وعدم الاقتصار فقط على ثقافة النخبة (كما هو الحال بالنسبة للأوبرا والباليه والمسرح التجريبى).

٦- قيام وزارة التربية والتعليم بالتركيز على تنمية القدرات الذهنية للتلاميذ، والعمل على تشجيع ملكاتهم الإبداعية. كذلك ينبغى أن تتجه إلى تحقيق الجزء الغائب من دورها، وهو الخاص بـ (التربية السلوكية والأخلاقية) - وهنا لابد من التنبيه إلى أن كليات التربية لاتشمل هذا الجانب على الإطلاق، وإنما تكتفى فقط بدراسة منهج أو طريقة تدريس العلوم المختلفة.[٣٣]

٧- الجامعات بحاجة شديدة إلى تطوير شامل: فالطلاب مكدسون، والأساتذة شبه منفصلين عنهم من الناحية الثقافية. ولايوجد داخل الجامعات مايساعد على تواصل الأجيال، ونقل التجربة فى جو حميم، يعيد للأستاذ أثره البالغ على طلابه. وهنا يلاحظ انعدام الأبحاث العلمية ذات الطابع الجماعى التى يمكن أن يتعاون فيها الأساتذة والطلاب.

٨- الإعلام يعامل الإنسان المصرى فى الغالب على أنه شخص غبى، أو شبه متخلف عقليا، مع أنه أذكى من المتحدثين إليه من خلاله (يكفى ملاحظة مجموعة من الفلاحين، وهم يستمعون إلى ندوة أو تمثيلية ومراقبة التعليقات الناقدة عليها). كذلك ينبغى أن يخطط الإعلام المصرى لنقل مايحدث من تطور فى العلم والتكنولوجيا، وأوجه الحضارة فى الدول المتقدمة إلى الإنسان المصرى لتشويقه إلى محاكاتها من ناحية، وزيادة وعيه بما يحدث فى العالم من ناحية أخرى.

٩- مساحة الإعلانات عن أماكن اللهو، والأفلام، والمسرحيات أكثر مما ينبغى. ويكفى هنا أن أوصى المسئولين عن السماح بتلك الإعلانات (بهذه الصورة) إلى محاكاة مايحدث فى (باريس نفسها) بالنسبة لهذا المجال. فالأمر هناك أكثر انضباطا مما يجرى فى القاهرة.[٣٤]

١٠- لابد من الحد من موجة التغريب المتزايدة فى المجتمع. فأسماء بعض المحلات أصبحت أجنبية، بل إنها مكتوبة بحروف أجنبية (لم يحدث هذا أثناء الاحتلال البريطانى، وحكم الملكية السابق) ولاشك أن هذا يشعر المواطن بغربة فى بلده. كذلك يلاحظ غلبة المدارس الأجنبية، وتشجيعها، والإعلام المبالغ فيه عنها باعتبارها أرقى من المدارس الوطنية (التى تستخدم اللغة العربية). وينطبق نفس الأمر على الجامعة الأمريكية بالنسبة للجامعات المصرية.

١١- العمل على تطوير جهاز الشرطة، بحيث يصبح أكثر رفقا فى معاملة المواطنين، فالمتهم برئ حتى تثبت إدانته، والعمل فى نفس الوقت على إعادة جهاز الشرطة لكسب تعاطف الشعب، فالمواطن العادى يمكنه أن يساعد الشرطة بلا حدود.. حين يدرك أنها تحميه، ولاتعاديه.

١٢- مظهر (جنود) الشرطة مهم جدا لحفظ الأمن، مثل الكفاءة فى عملهم تماما. والملاحظ على جنود الحراسة والمرور تدنى مستوى ملبسهم مما يغرى بتجاهلهم، وإمكانية الهجوم عليهم (بالمناسبة الفرق شاسع جدا بين مظهر الضابط ومظهر الجندى).

١٣- ضرورة الإسراع بتطبيق نظام "الرقم القومى"، وعمل بطاقات شخصية يصعب أو يستحيل تزويرها، مع إحالة كافة معاملات المواطن إلى هذا الرقم حتى يمكن التعرف عليها بسهولة.

١٤- ترك المناطق العشوائية تنمو بدون ضوابط: جريمة ينبغى ايقافها على الفور. ويشمل ذلك عدم السماح بإنشاء أكشاك عشوائية فى داخل المدن، وعلى أطراف القرى، حيث يتجمع فيها الغرباء ويجدون فيها وسائل للإيواء..

١٥- الجهاز الإدارى بالدولة فى حاجة ماسة إلى تجديد وإحلال. والإجراءات بحاجة إلى اختصار. والغرض هو تسهيل معاملات المواطنين عندما يلجأون إليها، حتى يشعروا بالخدمة الحقيقية، وترسخ فى نفوسهم مشاعر الإنتماء.

١٦- ضرورة التشديد فى مراقبة زعماء الجماعات المتطرفة بالسجون، فالذى ثبت أنهم مازالوا يمارسون تأثيرهم على الأتباع فى خارج السجون، ويخططون لهم مايقومون به من أعمال إرهابية.

١٧- ضرورة العمل على زيادة تأمين القوات المسلحة، والشرطة ضد تسرب أفكار التطرف الدينى إليهم[٣٥] وذلك عن طريق توعية ثقافية ودينية مستمرة، ومحاولة الإجابة المقنعة بسرعة على كافة استفساراتهم فى هذا المجال.

١٨- ليست مكافحة التطرف والإرهاب الناتج عنه مسئولية بلد عربى وإسلامى واحد، بل إنها مسئولية جماعية ينبغى أن تتعاون فيها دول العالم العربى كله، فاهتزاز الأمن فى إحداها يؤثر بالضرورة على جاراتها.

١٩- لاينبغى على وسائل الإعلام المصرية أن تضخم من أحداث الإرهاب التى يقوم بها المتطرفون الدينيون، حتى لاتحقق لهم مايهدفون إليه فى جانب كبير من أعمالهم، وفى نفس الوقت لابد من تكذيب ماترددده وسائل الإعلام الأخرى من مبالغات، ولفت نظر المراسلين الأجانب لدينا إلى ضرورة تحرى الصدق والتزام الحقيقة.

٢٠- مع استمرار الدولة فى مكافحة الإرهاب، الناتج عن التطرف الدينى، لاينبغى أن تقع فى خطأ محاربة الإسلام كدين راسخ فى نفوس المصريين، وكشعائر وتقاليد ومراسم يرتبط بها الملايين ارتباطا عاطفيا عميقا. والمقصود هنا احترام المظهر الإسلامى، وعدم الإساءة إليه بأى شكل من الأشكال، وخاصة فى وسائل الإعلام الحكومية.

٢١- ضرورة الاهتمام بتخريج دعاة مسلمين على مستوى جيد، تكون لديهم القدرة على توضيح المفاهيم الإسلامية بأسلوب مبسط، والرد على الشبهات بمنهج مقنع، مع ملاحظة أن عدم وجود مثل هؤلاء الدعاة يفتح الباب واسعا لأخذ تعاليم الدين من غير أهله.

الهوامش والتعليقات

١) أورد الإحصائية د. سعد الدين ابراهيم ص ٣،٢ ضمن وقائع الحلقة الدراسية التى عقدت حول ظاهرة الإرهاب والعنف فى مصر - نادى هيئة التدريس بجامعة القاهرة ١٣/٥/١٩٩٣.

٢) ذهب الباحثون فى طبيعة المعتقدات إلى أنه متى قوى نفوذ طائفة من المؤمنين فى شعب من الشعوب نزعت إلى الاستبداء بسائر الطبقات، وجنحت إلى قتال من لايذعن لسلطانها ويستجيب لتعاليمها. وهنا تنعدم الرحمة من قلوب هؤلاء المتعصبين -انظر قصة الاضطهاد الدينى فى المسيحية والإسلام، للدكتور توفيق الطويل ص ١٠ - دار الفكر العربى. القاهرة ١٩٤٧.

٣) يتضح من السطور الأولى من كتاب فرانسوا بورجا - المترجم للعربية تحت عنوان "الإسلام السياسى: صوت الجنوب" مدى تخوف أوربا من هذا الامتداد الايديولوجى فى جنوب البحر المتوسط، حيث ظاهرة الإسلام السياسى ترفض كلا من: مشروعات التحديث القائمة فى بلادها، والحضارة الغربية الموجودة فى أوربا - الناشر دار العالم الثالث ترجمة د. لورين ذكرى - القاهرة ١٩٩٢.

٤) Les schismes dans L' Islam, Paris 199 وأنظر أيضا: محمد عمارة: تيارات الفكر الإسلامى. دار المستقبل العربى - ١٩٨٣.

٥) أنظر د. عبد الله العثيمين: الشيخ محمد بن عبد الوهاب: حياته وفكره. مطبوعات الرياض. وهو عبارة عن رسالة دكتوراه بالإنجليزية، ترجمها المؤلف نفسه إلى العربية، وتعد من أفضل وأدق الدراسات الموضوعية عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأفكاره.

٦) كان تطبيق هذا المبدأ هو الأول من نوعه فى العصر الحديث لدى المسلمين. ومن الملاحظ أن حركات التطرف الدينى تسعى لتطبيقه.

٧) كان للوهابية تأثيرها المباشر على معظم حركات الإصلاح الدينى فى الهند، كما كان لها تأثير على السنوسية فى ليبيا، والإخوان المسلمين فى مصر، وابن باديس فى الجزائر - أنظر بحث د. وهبه الزحيلى: تأثر الدعوات الإصلاحية الإسلامية بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٢٩٣-٣٤١، ضمن بحوث أسبوع الشيخ ج٢. جامعة الإمام محمد بن سعود ١٩٨٣.

٨) يحتاج هذا الدور إلى دراسة اجتماعية لرصد مظاهره، والوقوف على أسبابه.

٩) أنظر مصطفى كامل باشا فى ٣٤ ربيعا - مطبعة اللواء - القاهرة ١٩٠٨.

١٠) ويلاحظ أن الشعار الذى رفع حينئذ للتعبير عن ذلك كان هو "الدين لله والوطن للجميع".

١١) أنظر الفصل الذى كتبه عنه الأستاذ عبد المتعال الصعيدى فى كتابه "المجددون فى الإسلام" ص ٥٣٩-٥٤٤ ط ثانية. مكتبة الآداب. القاهرة ١٩٦٢.

١٢) انظر الدراسة الجيدة التى كتبها المستشرق الامريكى ريتشارد ميتشل عن "الإخوان المسلمين" ترجمة عبد السلام رضوان. مكتبة مدبولى - القاهرة ١٩٧٧.

١٣) انظر على سبيل المثال: كتاب "حقيقة الخلاف بين الإخوان المسلمين وعبد الناصر" يرويها محمد حامد أبو النصر - مطابع انترناشيونال Press - بدون ناشر. القاهرة ١٩٨٧.

١٤) انظر الفصل الخاص بتصرفات عبد الناصر مع الجماعة - السابق.

١٥) فى محاكمة تنظيم الجهاد، وردت اعترافات من المحامين عن المتهمين بأن الدولة قد دعمت شباب التيار الدينى لمواجهة اليساريين وغيرهم من خصوم الحكومة. وخلال العام الجامعى ٧٩/٧٨ سيطرت الجماعات الدينية على معظم اتحادات الطلاب فى الجامعات. ومن أهم الاسماء الحكومية التى استخدمت فى دعم الجماعات الدينية يذكر: محمد عثمان

اسماعيل، محافظ أسيوط، وأحمد طعيمة الوزير فـــى عـــهد الســـادات، وعثمان أحمد عثمان، وزيـــر الإسكان فى عـــــهد الســـادات - ١٢٠ - ١٣٢ من كتاب "قنابل ومصاحف" لعادل حمـــودة. دار ســـينا للنشـــر - القاهرة ١٩٨٥.

١٦) هذا الموضوع مقتبس باختصار من كتاب "الإسلام السياسى" للأســـتاذة هالة مصطفى ص ١٣١-١٦٧ مركز الدراسات الإستراتيجية بالأهرام - القاهرة ١٩٩٢.

١٧) اخترنا التسمية التى أوردتها الأستاذة هالة مصطفى، الســـابق ص ١٣٩ - ويطلق البعض عليها أيضا اسم "حزب التحرير الإسلامى" على اعتبار أن زعيمها كان منظما له، وعموما فإن صالح سرية هو أحد قادة منظمة فتح، بل أحد مؤسسيها، وهى التى تمثل التيار الإســـلامى فـــى منظمـــة التحرير الفلسطينية.

١٨) يوجد تلخيص يد لكتاب الفريضة الغائبة فى كتاب الأستاذ عادل حمودة: قنابل ومصاحف ص ٣٦-٣٨.

١٩) ينعكس هذا النشاط على الجماعات الدينية فى الجامعة. وهى تندرج فـــى هيئة أسر جامعية، تنتمى كل منها إلى أحد الاتجاهات الأربعة.

٢٠) قمت باستخلاص هذه المراجع من كتابـــات ومنشـــورات الجماعـــات المتطرفة، وكذلك من خلال التحقيقات المنشـــورة التـــى أجريـــت مـــع زعمائهم.

٢١) أنظر رد الأستاذ فهمى هويدى على هذا الشعار بصورة جيدة فى كتابـــه "حتى لاتكون فتنة" ص ٣٩ وما بعدها - دار الشروق ط ثانية ١٩٩٢.

٢٢) هذا الشعار نجده عند المودودى وسيد قطب، ومنهما انتشر لـــدى كـــل الجماعات المتطرفة بعد ذلك.

٢٣) قال عبد السلام فرج لأتباعه بصدد اغتيال الســـادات: "هنـــاك مهمـــة استشهاد فهل أنتم مستعدون لها؟ وكان رد الجميع بالإيجـــاب". منقولـــة بالنص من المحاكمات. انظر: قنابل ومصاحف ص ٩٢.

٢٤) أنظر البحث الذى كتبناه عن "المنهج التربوى لإعداد إخوان الصفا" ضمن كتابنا "الفلسفة الإسلامية: مدخل وقضايا" – مكتبة الثقافة العربية ط ثانية. القاهرة ١٩٩٢.

٢٥) أمراء الجماعات الصغيرة هؤلاء هم الذين يطلق عليهم فى الدراسات الحديثة للإعلام المعاصر "قادة الرأى" والواحد منهم يكون مؤهلا للتأثير فيمن حوله، فى كل المجالات. فمن بين الطلاب قادة رأى، كلمتهم مسموعة عن الأساتذة. وكذلك بين العمال فيما بينهم، وكذلك فى كل مهنة، ومستوى.

٢٦) يركز معظم الباحثين على العوامل الاقتصادية فى نشأة التطرف الدينى، ومع أهميتها فإنها تظل جزءا واحدا من العوامل. ويظل البحث فى جذور المسألة الدينية ذاتها هو المجال الأساسى.

٢٧) منقولة بتصرف من كتاب "الإسلام السياسى فى مصر" لهالة مصطفى. ص ١٦٦.

٢٨) من رقم (٣) حتى (٧) مقتبس مباشرة من دفاع عمر عبد الرحمن عن نفسه أثناء محاكمته. انظر كتاب "كلمة حق" دار الاعتصام، القاهرة ١٩٨٧.

٢٩) يمكن الوقوف على ذلك من اعترافات الأتباع، أو أقوالهم فى أثناء المحاكمات.

٣٠) أنظر كتاب "مواجهة الفكر المتطرف فى الإسلام" للدكتور حامد حسان وآخرين – ضمن سلسلة المواجهة – الهيئة العامة للكتاب – القاهرة ١٩٣٣. ويلاحظ أنه يقتصر على تفنيد أراء جماعة التكفير والهجرة فقط. ولكنه عمل جيد.

٣١) انظر هامش رقم (١٥) السابق.

٣٢) فضلنا استخدام هذا المصطلح للتعبير عما وقع فعلا، مع أن بعض الباحثين يسميه حل الحوار – وهذا يعنى أن مناظرة جرت بين طرفين، وهذا لم يحدث تماما.

٣٣) يلاحظ هنا غيبة تدريس مادة الأخلاق، وآداب السلوك من مدارسنا، مع أهميتها البالغة. أنظر كتابنا "الخطاب الأخلاقى فى الحضارة الإسلامية" دار الثقافة العربية. ط ثانية ١٩٩٢.

٣٤) أشير هنا إلى كيفية استقبال تلميذات المدارس "المحجبات" للصور العملاقة عن أفلام الراقصات والفنانات العاريات المنتشرة فى الشوارع الكبرى والميادين؟!

٣٥) ورد التنبيه إلى هذه التوصية فى بحث "التطرف الدينى" إعداد اللواء أ. ح. حسام الدين سويلم ص ١٦٢ مركز الدراسات الاستراتيجية - يونية ١٩٨٧. ونحن هنا نقدم الوسيلة للوصول إلى تحقيقها.